المصطلح البلاغي
في كتاب مفاتيح العلوم للخوارزمي

إعداد : أ. بشير كحيل
ج/ باجي مختار وعنابة

1- اللغة العربية والمصطلح :

لم يكن حظ العربية في المصطلح(1) يقل شأنا عن باقي اللغات الإنسانية، أو حتى لهجات بعض الأمصار، خاصة تلك التي يتم بها التواصل اليومي بين الأفراد والجماعات، إذ عرفت سيلا من مصطلحات العلوم والفنون منذ الفترة التي شهدت امتزاج العرب بغيرهم من الأمم إبان العصور الإسلامية السالفة إلى عصرنا الحاضر، الشيء الذي أدى إلى توسع دلالات كثير من المفردات والألفاظ والصيغ، بشكل جعل منها **لغة قادرة** على مسايرة ركب الحضارة والتمدن . وهي - وإن تكن كذلك - فإنها أمدت كثيرا من اللغات الأخرى بمصطلحات في مختلف مجالات العلوم والمعارف والفنون، بحيث يشكل أخذها

وعطاؤها دليلا على حيويتها واستمرارها وتواصلها مع اللغات، تواصلا لم تنقطع عراه طوال مختلف العصور .

ومن المرجح أن العناية بالمصطلح بدأت في الفترة التي شهدت ازدهار **التدوين** وانتشاره، وكان من دوافع ذلك – وفي الفترة الأولى- خدمة العلوم الشرعية واللغوية على حد سواء ، يقول محمد رضا الشبيبي:" شهد تدوين العلوم والفنون ... مولد المصطلحات أول ما وجدت، ثم نقلت العلوم الدخيلة إلى العربية، واتفق على أوضاع ومصطلحات خاصة بهم، حتى أصبح لكثير من الكلمات العربية معنيان : معنى لغوي ومعنى اصطلاحي"(2)، ولعل الشأن في هذا لا يختلف عن تلك الطريقة والمناسبة التي دعت إلى وضع علوم العربية على اختلافها وتفاوت مراتبها من مثل النحو والصرف والبلاغة والعروض والقافية وهلم جرا ... إذ كانت الأسباب في جوهرها دينية عقدية .وإن يكد العلماء يجمعون على ذلك، وهذا على الرغم من الاعتقاد بوجود أسباب أخرى، لأن المصطلحات" لا توضع ارتجالا، ولا بد في

كل مصطلح من وجود مناسبة أو مشاركة أو مشابهة كبيرة كانت أو صغيرة، بين مدلوله اللغوي ومدلوله الاصطلاحي" (3)، وبذلك فإن سن المصطلحات ووضعها قد تقف وراءه أسباب منها ما هو مباشر، ومنها ما هو غير مباشر كما تمت الإشارة إلى ذلك، بالإضافة إلى ما عليه العلماء من وعي بخطورة دور المصطلحات في لغة التحاور والتواصل بين الأفراد.

2- الخوارزمي وكتابه مفاتيح العلوم :

والعربية بعدئذ شهدت تأليف عدة كتب عنيت بالمصطلح، من أهمها كتاب " **مفاتيح العلوم**"، وهو **لمحمد بن أحمد الكاتب الخوارزمي** (ت 387 هـ-997 م)، الذي "كانت له مشاركة في ضروب من المعارف والبحث العلمي، وألف أول موسوعة عربية ..." (4)، منسوب إلى خوارزم التي هي إقليم من أوزبكستان السوفياتية، غني بموارده الزراعية . وقد اعتنق أهلها الإسلام في القرن الثامن أيام السلاجقة الأتراك. (5)، فأما مولده وعيشه فكان ... ببلخ ... ونيسابور في بلاط السامانيين

. (6) من بلاد فارس، ولسنا ندري ما السبب من وراء نسبته إلى إقليم خوارزم، أهو لشهرة الإقليم أم هي مجرد نسبة ؟

فأما كتابه فيظهر أنه ألفه للعتبي وزير دولة السامانيين كما وردت الإشارة إلى ذلك في مقدمته، قال :" أما بعد فلما قصر الله همة الشيخ الجليل السيد أبي الحسن عبيد الله بن أحمد العتبي أطال الله بقاءه، وأدام للزمان بهاءه على حب العلم وأهله، وإيوائهم إلى ظليل ظله، وإيلاء قاصيهم ودانيهم عوائد بره وفضله دعتني نفسي إلى تصنيف كتاب باسمه النابه أعلاه الله، يكون جامعا لمفاتيح العلوم، وأوائل الصناعات، متضمنا ما بين كل طبقة من العلماء من المواضعات والاصطلاحات التي خلت منها أو من جلها الكتب الحاصرة لعلم اللغة "(7) فالكتاب ألفه إذن **لولي نعمته**، على عادة ما كان يدأب عليه بعض العلماء في الاعتراف بجميل أسيادهم من الملوك والخلفاء والوجهاء. (8) ومن الطريف أن نجد المؤلف ينزع في كتابه نزعة تجديدية لا

عهد للنظار بها بتأليفه في اصطلاحات العلوم والفنون، وكأنه أراد بذلك أن يرضي مولاه رضى لاحدود له. وهو بعدئذ يطلعنا على موضوع كتابه، ومنهجه في التأليف، والقسمة التي قسمه بمقتضاها بقوله :" وقد جمعت في هذا الكتاب أكثر ما يحتاج إليه من هذا النوع، متحريا للإيجاز والاختصار، ومتوقيا للتطويل والإكثار، وألغيت ذكر المشهور والمتعارف بين الجمهور، وما هو غامض غريب، لا يكاد يخلو إذا ذكر في الكتب من شرح طويل وتفسير كثير ... ولم أشتغل بالتفريع المفرط، والاشتقاق البارد، ولا بإيراد الحجج والشواهد، إذ كان أكثر هذه الأوضاع أسامي وألقابا اخترعت، وألفاظا من كلام العجم أعربت . وسميت هذا الكتاب **مفاتيح العلوم** إذ كان مدخلا إليها ومفتاحا لأكثرها ... وجعلته **مقالتين** إحداهما لعلوم الشريعة وما يقترن بها من العلوم العربية، والثانية **لعلوم العجم** من اليونانيين وغيرهم من الأمم (9)" .

فالكتاب يعد وثيقة علمية هامة تطلعنا على لونين من الثقافات التي شهدها العصر العباسي: أحدهما الثقافة العربية الخالصة التي كتب لها الاستمرار بفعل التراكم المعرفي، والثانية ثقافة البلدان والأمصار التي تم فتحها، والمتمثلة فيما احتوته لغاتها وآدابها وفنونها من معارف وخبرات لا عهد للعرب بها .

فأما **مصطلحات البلاغة** -موضوع هذا المقال-فتقع ضمن **القسم الأول** منه، وهي لا تخص علما بلاغيا واحدا، وإنما تتوزع على علم المعاني، وعلم البيان، وعلم البديع .

أ- طريقة عرض المصطلح :

لم يتوخ الخوارزمي طريقة خاصة في عرض المصطلح، والعناية فيه بالتحديد والتعريف وضرب المثل، وإنما عمد إلى التنويع في ترتيب بنية التعريف، وهو بذلك لم يلتزم بالعودة إلى المعجمات التي تعينه على سن المصطلحات، وكأنه

أراد السير في مسلك لم يرتده من قبله العلماء، يتضح ذلك في **:ذكره المصطلح وعدم العناية بشرحه :** من الأمثلة الدالة على ذلك :

تعريفه **" التسجيع" :** معروف لا يحتاج إلى إيراد مثال فيه "(10) ومعلوم أن هذا الأسلوب الغرض منه هو إحصاء المصطلحات وتصنيفها، وليس العناية بوضعها أو تبيان خصائها ، أو تمايزها بين بقية مصطلحات العلوم . وإنه لتجب الإشارة في هذا الموضع إلى أن السجع بوصفه أداة من أدوات الشعرية؛ قد تفنن فيه الأدباء، ومزقوا بنيته إربا إربا أو أشلاء أشلاء، بغية مزجه -كما تمزج الألوان-عساهم يظفروا من ورائه بتنوع دلالة كل لفظ داخل نظام ا لإيقاع للخطاب، فالمتنبي على سبيل المثال؛ ينوع مادة مشى إلى (يمشي- وهو فعل - ومشي -وهو مصدر) في قوله :

ويمشي به العكاز في الدير تائبا
* وما كان يرضى **مشي** أشقر أجردا

إنه تمزيق لبنية الكلمة -**مشى**- يبدو فيه الشاعر **كالمصور** الذي يتحكم في ألوانه، وفق إرادة اختيارية تفيض بها نفسه التواقة إلى نصرة سيف الدولة، بعد أن هزم عدوه، وهو ملك الروم .

ونحن إذا بحثنا -بعد هذا-عن خصائص الجناس في تعريف الخوارزمي لانكاد نعثر على شئ من ذلك . خاصة وأنه -وفق عدة اعتبارات- تتعدد أنواعه، وتتفاوت مراتب استخدامه لدى المبدعين، وهو بعدئذ يتفاوت في مستويات تعريفه في الدراسات البلاغية , وأيضا في الخطابات الأدبية .

- **التبديل** : قال في تعريفه :" كقول بعضهم في دعائه اللهم أغنني بالفقر إليك، ولا تفقرني بالاستغناء عنك " (11) .فقد اكتفى بضرب المثال، اعتقادا منه أنه كاف للتعريف به، كقولنا في صياغة جملة من فعل وفاعل -أردنا منها تعريف الفاعل : الفاعل كزيد في قولك : قام **زيد** . ومعلوم أن هذه الطريقة وإن كانت تعتمد على الاختصار والاستنتاج، إلا أنها تهدم أهم بنية من بنيات التعريف، وهو

إقامة الحد الذي يتفاوت في مفهومه ودلالته من عالم لآخر، ومن ثم يفقد المصطلح مايمكن أن يفيض من دلالته، أو يشع من ثرائه. إن المعول في هذا الشأن سيكون على مدى استجابة القارئ وتلقيه في نهاية المطاف، والقراء كما هو معلوم متفاوتون ثقافة وتلقيا واستيعابا . وهو بعدئذ- أي القارئ - سيقوم باستخلاص خصائص المصطلح الدالة عليه .

- الاستعارة : قال في تعريفها :" الاستعارة كقولك خمدت نار الفتنة، ووضعت الحرب أوزارها ,وألقى الحق جرانه" (12)، وقد يكون الأمر إذا تعلق بالاستعارة مختلفا عن التبديل، باعتباره محسنا بديعيا، في حين أنها- أي الاستعارة- رأس علم البيان وتاجه، وقد لا تضاهى إلا بمباحث المعاني التي تعود إليها أسرار الإعجاز، أعلى مراتب البلاغة . فإذا اعتقدنا بذلك صار تعريفها بالاعتماد على بعض الشواهد والأمثلة أمرا مستساغا إلى حد بعيد، لكونها -أي الاستعارة - لا تخفى دقائقها على المتلقين مهما تفاوت زادهم المعرفي .

وليس يخفى على المتمعن أن الأمثلة الثلاثة التي ساقها المؤلف كلها من **الخطاب النثري**، وأنه قام بانتخابها من بين أمثلة أخرى – على ما يبدو ، إذ منها ماهو من الحديث النبوي الشريف – وضعت الحرب أوزارها –ونظن أن المؤلف عمد إلى هذا ليكون جزءا من منهجه في سن المصطلح، معولا على زاد القارئ، ونفاذ بصيرته إلى خصائص التشكيل المصطلحي، وبذلك فإن هذا التشكيل اللساني لا يقوم في الذهن، إلا إذا اكتملت أركان **متصوره** لدى المتقبل، تصور ينم عن فهم واستيعاب، معضد بدلالة الشاهد، أو المثال الذي ينتمي إلى حقل علمي آخر هو الحديث النبوي.

– **فساد المقابلات** : قال في تعريفها :" مثل أن تقول لم يأتني من الناس أسود ولا أسمر ولا خير ولا سارق، والصواب أن تقول لم يأتني أبيض ولا أسود، لاخير ولا شرير" (13)، إن تجاوز صياغة التعريف طريقة دأب عليها مؤلف مفاتيح العلوم، متعمدا السير عليها، وكأننا به يروم تجاوز بنية سن المصطلح، لاعتقاده بجدوى

الشاهد، أو المثل في إبانة دلالة المصطلح ومفهومه .

أما أن المقابلة فاسدة فأمر بين ، لكونها تقوم على الجمع بين ضدين يقابل بينهما، اعتمادا على التوزيع المعنوي الدقيق، ومن ثم رأينا البلاغيين يصنفونها ضمن المحسنات المعنوية، فالأسود يقابل الأبيض، والخير يقابل الشرير. إنه توزيع منطقي، يتم فيه حشد المفارقات والدلالات المضادة، لاستثارة العقل وتحريك ذهن المتقبل . وإنه لمن توجيه النظر أن نعتبر أن القفز على وضع الحد والعناية بإيراد الشواهد والأمثلة من المظاهر التي احتفت بها **كتب البلاغيين المتأخرين**، وظلت مظهرا مميزا لمدرسة المتكلمين. وقد كتب للخوارزمي- على ما يبدو- أن يكون **سباقا** لهذا المنحى دون غيره من البلاغيين ، وكأنه كان متفطنا لما ستجنيه العناية برسم الحدود على حساب الأمثلة والشواهد، وهو وعي مبكر ينم عن تفرد في البحث .

- **فساد التفسير** : يقول في تعريفه : " مثل ما كتب بعض الكتاب : ومن كان

لأمير المؤمنين مثل ما أنت له في الذب عن ثغوره والمسارعة إلى ما ندبك إليه من صغير خطب وكبير، كان جديرا بنصح أمير المؤمنين في أعماله والاجتهاد في تثمير أمواله . فليس ما قدمه من الحال مما سبيله أن يفسر به، لأن ذلك الشرط لا يوجب ما اتبعه إياه " (14) . ولعله بعد هذا المثال يتضح اعتماد المؤلف على الخطاب النثري ،وكأنه يراه أكثر تعبيرا عن حقائق الدلالات وانطباق المفاهيم . وقد راعنا شئ نريد أن نفاجئ به القارئ الكريم، وهو تركيز المؤلف **على فساد المصطلح**، وليس تعريفه، ومن ثم فإننا لا نعثر لديه على جيد التفسير، أو الأمثلة الدالة عليه ونحن في حقيقة الأمر أمام مجال نريد أن نجعله بابا من أبواب دراسة المصطلح، وهو **النقد الاصطلاحي أو المصطلحي**، ليكون نوعا من الدراسة التي تستنبط منها النتائج، ويوقف فيها على طبيعة التعريفات .

ومن الأمثلة الدالة على ذلك ما أورده المؤلف في موضع من مواضع الكتاب، قال :"الإخلال في غير التفسير، فكما كتب

بعضهم إن المعروف إذا زجا كان أفضل منه إذا كثر وأبطأ ، وكان يجب أن يقول : إذا قل وزجا ""(15) ومعلوم أن إبراز مفهوم المصطلح في هذا الموضع انصب على نقد ه من خلال مثال من أمثلته وليس بنيته، وهو منحنى أخذ به الخوارزمي في مؤلفه، وكأنه كان يعنى بتطبيق الحد على الأمثلة، متوخيا طريقة تحليلية تقوم على ذكر العلة والبديل، بغية تقويم الخطأ. لقد تحولت دراسة المصطلح إلى **نقد أسلوبي** يقوم على الحكم المعياري الذي نشأ وترعرع في رحاب النقد اللغوي والأدبي .

ب- إيراده المصطلح وإبانة حده بذكر ضده أو شبيهه : ومن أمثلة التعريف بذكر الحد قوله في التضريس إنه :" ضد الترصيع وهو أن لا تراعى توازن الألفاظ ولا تشابه مقاطعها مثل كلام العامة الاشتقاق هو الذي يسمى في الشعر المجانسة، وهو مثل قول القائل لا ترى الجاهل إلا مفرطا أو مفرطا، وكقول بعضهم إن هذا الكلام صدر عن صدر صدر، وطبع طبع وقريحة قريحة وجوارح جريحة "(16) ونحن

نعتقد أن مثل هذا التعريف لا يفي بغرض تحديد المصطلح، لأنه كمن أراد أن يحد **النور** فقال : إنه ضد الظلام، مع أن النور يمكن أن تكون مصادره متعددة ،وأن النور قد ينبعث من القمر، وليس بالتالي ضوء الشمس، وهو وسيلة لإنارة السبل، وقوة لكسر الظلمة وهكذا ...

لقد تحولت الدراسة المصطلحية بهذا المفهوم إلى **تحليل لأساليب التداول،** وخرجت بذلك عن نطاق فكرة الحد والشرح وإيراد الأمثلة , وهي أهم **بنيات** التعريف التي دأب عليها واضعو المصطلحات، ونرجح أن فكرة الوضع لدى الخوارزمي بدأت في طريقها **إلى النضج** والتبلور على الرغم مما يبدو عليها من اضطراب متمثل في عدم الأخذ بمنوال واحد في تصنيف المصطلحات وإبراز خصائصها .

وفي الكتاب ذكر لبعض المصطلحات بإيراد ما يشبهها من مصطلحات أخرى، كقول المؤلف في " المضارعة " هي :" أن يكون شبيهًا بـ **الاشتقاق** ولا يكونه، كما قال بعضهم ما خصصتني ولكن خسستني "(17)، وحد الشئ بما يشبهه أمر مفتقر

إلى زيادة تحديد، لأنه لا يجمع خصائصه النوعية من جميع الجوانب، ولا يجعله ماثلا في الذهن بشكل يبرزه ويجليه ، وإن يكن الشبه في المضارعة قائما على التجانس الصوتي والتماثل في خواتم الألفاظ، كما هو الحال في (خصصتني وخسستني)، ولذلك صنفها البلاغيون ضمن أنواع **الجناس**(18)

- **المكافأة:** وهي شبيهة لديه بالتبديل قال الخوارزمي:" المكافأة شبيهة بالتبديل إلا أنها في المعنى وإن لم تتفق الألفاظ كما قال المنصور في خطبته عند قتله أبا مسلم يا أيها الناس لا تخرجوا من عز الطاعة إلى ذل المعصية، وهذا يسمى المطابقة"(19)، والواقع أن ما يجمع هذه المصطلحات هو أنها تنضوي تحت مفهوم واحد هو المفارقة، أين تجتمع الأضداد وتتقارب من ناحية المعاني، ولا نكاد نجد المؤلف يحيلنا إلى مصدر هذه المصطلحات، أو مظهر تدرجها من طور إلى طور، أو ما يقع فيها من تداخل أو تجاذب على النحو الذي نلقاه في المكافأة، وقد رأينا

مجمع العربية بالقاهرة في العصر الحديث ينبه المشتغلين بالمصطلح، إلى ضرورة الاقتصار على مصطلح واحد للمعنى الواحد، حتى يتم تلافي ما يسمى بفوضى المصطلح، جاء في قرارات المجمع ما يلي: "الاصطلاحات العلمية والفنية والصناعية يجب أن يقتصر فيها على اسم واحد خاص لكل معنى" (20) ، ومن البين أن الاعتماد على التعريف بالاقتصار على مقارنته بمصطلح آخر أمر عقلي بحت، يقوم على حصر ما يتميز به معنى المصطلح مقابل بعض خصائص المصطلح الآخر، وهي عملية تقوم في أساسها على الربط الذهني .

ج- **ذكر المصطلح مع عدم إيراد الأمثلة** : وعادة ما يقوم الخوارزمي بإيراد المصطلح، ويتلوه بشرح معناه شرحا لا يستند إلى الأمثلة والشواهد التي يعول عليها في توضيح الدلالة الحقيقية ، من ذلك :

تعريفه لصحة المقابلات، قال فيه : "وصحة المقابلات أن تراعى الأضداد أو الأشكال، فتقابل كلا منها بنظيره" (21) ، فإذا كانت المقابلة تتأسس على التوزيع

المعنوي للألفاظ توزيعا يراعي الضد، فإن إيراد الأمثلة من شأنه أن يعين على إبراز الخصائص الذاتية للمصطلح . وإنه لمن الثابت أن الأمثلة تشكل **بنية هامة** في سياق التعريف لا يمكن التغاضي عنها مهما تذرعنا باستيفاء الحد حقه، نقف على ذلك فيما ألف في **معجمات** مختلف اللغات، أو في **طرق تعليم** بعض الألسن، وذلك عندما تم العدول فيها عن تعليم القواعد إلى الاعتماد- في التعليم -على الأمثلة.

جرى الخوارزمي على ذلك النهج في مصطلح آخر هو التعقيد، قال في تعريفه :" والتعقيد وهو مداخلة بعضه في بعض حتى لايفهم إلا بكد الخاطر وتكرار السماع أو النظر، يقال تعاظلت الجرادتان إذا تلازمتا في السفاد، وكذلك تعاظل الكلب والكلبة، وهو مما لايحتاج فيه إلى إيراد مثال لاشتهاره ولا شهادة "(22)، ومن المرجح أن التعقيد هو ما يصطلح عليه البلاغيون عادة بالمعاظلة، وهو شئ يستفاد من سياق تعريف الخوارزمي له، يحتاج فيه-بسبب غموضه -إلى إعمال

الخاطر، وإرهاف السمع، وإجالة النظر، حتى يوقف على المراد من دلالة معناه .فأما أنه لا يحتاج لإيراد الأمثلة فشئ فيه نظر باعتبار وظيفة المثال في الإبانة والإيضاح . وكأننا بالخوارزمي أراد أن يسلك طريقا متفردا في التعريف بمصطلحاته، فراح يكتفي في بعض المواضع بصياغة التعريف عكس ما جرى عليه في بعض المواضع الأخرى، التي عول فيها على إيراد الأمثلة .

وقد رأيناه يورد ما يراه عيبا من عيوب التعقيد، يقول في ذلك :" ومن عيوبه التكرير، وهو إعادة الألفاظ وحروف الصلات والأدوات في مواضع متقاربة وفي مقاطع الفصول "(23) وكان جديرا به أن يسوق بعض ما يشرح به المصطلح وينير دلالته في ذهن المتقبل . رغم ما يبدو في هذا الحد من دقة في الضبط، وتركيز في الملاحظة، واستيفاء للحصر .

- **وجوه البلاغة :** وقد رآها الخوارزمي منحصرة في " ثلاثة : **المساواة** وهي أن تكون الألفاظ كالقوالب للمعاني لاتفضلها ولا تقصر عنها . **والإشارة** وهي أن

تدل بلفظ قليل على معان كثيرة . **والإشباع** وهو أن تدل على معنى واحد، بألفاظ مترادفة "(24)

إن حصر وجوه البلاغة في الأبواب السالفة الذكر يدل على أنها تتوزع على علوم البلاغة الثلاثة ،فالمساواة تقع ضمن باب ا لإيجاز والإطناب في علم المعاني، والإشارة تعد من ضمن البيان، إذ تنضوي تحتها **الكناية والرمز**، بينما يصنف الإشباع ضمن أبواب **البديع** . وإنه وإن تكن هذه الرسوم والحدود تفتقر إلى الأمثلة التي توضحها، فإن المعول فيها **على ثقافة المتقبل** وحسن درايته بعلوم البلاغة، فإن للبلاغة أوجها غير تلك التي ذكرها الخوارزمي ،منها ما اعتبر سرا من أسرار العربية، ومظهرا من مظاهر الإعجاز البياني في القرآن الكريم كالاستعارة، والتقديم والتأخير، ومظاهر الحذف المختلفة . ومختلف أوجه الإسناد الخبري .

د- ظاهرة العناية بالتقسيم والتفريع :

لم يخل كتاب الخوارزمي من كثرة التقسيم والتفريع، تلك الطريقة التي غلبت على كتب البلاغيين المتأخرين (25)، حتى عدت إحدى المظاهر المميزة للمدرسة الكلامية التي يعد أبو يعقوب السكاكي ت626 من الهجرة رائدا لها، ولقد تعددت أوجه تلك الظاهرة بتعدد الاصطلاحات الواردة في الكتاب ، من ذلك قوله إن **:" المقابلات على ثلاثة أوجه من جهة المعنى،** وهي الإضافة كالأب والابن، والمضادة كالأبيض والأسود، والوجود والعدم، والأعمى والبصير، فأما من جهة اللفظ فالنفي والإثبات كقولك زيد جالس وزيد ليس بجالس ..."(26)

إذا أردنا أن نستخلص الفوائد من ذلك كله قلنا : إنه لما كانت المقابلات تتم بجمع الأضداد فإن هذا الجمع مداره على :

المعنى (**الإضافة:** أب - ابن) + **المضادة** (جالس- غير جالس)+ **اللفظ**(نفي وإثبات) . وهو توزيع عقلي يدل على غلبة المنطق على سن المصطلح الذي لم يسلم بدوره من هيمنته التي طغت على علوم

العربية كلها، حتى وجدنا الدارسين يضيقون ذرعا كلما بحثوا المسائل المتعلقة به. إن المقابلات وفق التوزيع المذكور تلعب فيها العلاقات الذهنية دورا بارزا، خاصة علاقات المجاورة والتداعي، بحيث يتولد المعنى عن الآخر، تولد الاختلاف من الاتفاق .

- **جودة التقسيم :** وهي من المظاهر الاصطلاحية الدالة على العناية بالتفريع، يقول الخوارزمي :" وجودة التقسيم أن تستوفى الأقسام كلها، وفساده يكون إما بتكرير المعاني كما كتب بعضهم : فكرت مرة في عزلك، وأخرى في صرفك وتقليد غيرك . وأما مدخول الأقسام بعضها في بعض كما كتب الآخر : فمن جريح مضرج بدمائه، وهارب لايلتفت إلى ورائه . وقد يكون الجريح هاربا والهارب جريحا. وإما بإخلال كما كتب بعض رؤساء الكتاب إلى عامله : إنك لاتخلو من هربك من صارفك من أن تكون قدمت إساءة خفت منها، أو خنت في عملك خيانة رهبت تكشيفه إياك عنها "(27)، واستنتاجا من ذلك يكون التقسيم كالتالي :

1- **جودة التقسيم** (تكون باستيفاء الأقسام كلها)

2- **فساد التقسيم** (يكون ناتجا عن : أ- تكرار المعاني . ب-مدخول الأقسام أو تداخلها . ج - الإخلال).

وقد حرص الخوارزمي على إيراد أمثلة من فساد التقسيم تؤيد آراءه، اصطنع فيها الوصف ودقة الملاحظة. فأما أسباب فساد التقسيم فناتجة في الغالب -على ما يبدو -من سوء توزيع المعاني ضمن مسار يتوازى فيه القسمان توازيا شبيها بالخطين المتوازيين اللذين لايلتقيان مهما تم امتدادهما، فإذا تماسا أو تداخلا أو سئ تقدير علاقتهما ببعضهما أدى ذلك إلى فساد التقسيم .

- **المبالغة :** قال في تعريفها :" ومن نعوت الكلام المبالغة، وهو أن يعبر عن معنى بما لو اقتصر عليه لكان كافيا، ثم يؤكد ذلك بما يزيده حسنا وجودة كما قال بعضهم يصف قوما : لهم جود كرام، اتسعت أحوالها وبأس ليوث تتبعها أشبالها وهمم ملوك انفسحت آمالها ... فكل فصل من هذه الفصول فيه

مبالغة وتأكيد . ومن نعوت المبالغة الإرداف، وهو أن يدل على معنى بردف يردفه بما لا يخصه نفسه كما يقال : فلان لا تخمد ناره أي يكثر الإطعام ... ومن نعوتها التمثيل، وهو كما يقال : قلب له ظهر المجن إذا خالف "(28) . خلاصة ذلك أن -المبالغة تكون بتأكيد المعنى الأول، بغرض زيادة الحسن والجودة.

- أن من نعوتها : الإرداف والتمثيل .

وقد زاد الخوارزمي على ذلك إيراد الأمثلة التي توضح المراد من كل فكرة جاءت في تعريف المبالغة . وإنه وإن كانت المبالغة هي الغرض من وراء كل خطاب -كما يذهب إلى ذلك الخوارزمي -فإن الاقتصار فيها على الإرداف- الذي هو الكناية عند بعض البلاغيين - والتمثيل الذي يتم بصياغة معنى ينوب مناب المعنى الأول، فيشير إليه، إن الاقتصار على ذلك أمر فيه بعض التعسف باعتبار أن المبالغة أسلوب يتوخاه المتكلم في تبليغ رسالته تراعى فيه بعض سمات

الخطاب المحققة للإقناع والاستجابة، وليس بالتالي أن تكون وسائل الإقناع هي الإرداف والتمثيل، فربما كانت الاستعارة أو المجاز العقلي أو الحذف والذكر وهكذا ...

3- خاتمة القول :

ويمكن إجمال الرأي في خاتمة هذا المقال في المصطلح البلاغي الوارد في كتاب الخوارزمي مفاتيح العلوم، وذلك في النقاط التالية :

1- إن المصطلحات التي صنفها المؤلف تتوزع على **علوم البلاغة الثلاثة** (المعاني والبيان والبديع) .

2- **لم يلتزم** الخوارزمي في دراسة وتحليل مصطلحاته بطريقة واحدة، وإنما عمد إلى تنويع أسلوب العرض، وتصرف في بنية التعريف بأشكال عدة،كاكتفائه بالإشارة إلى المصطلح دون تعريفه، لكونه معلوما، أو عدم إيراده الأمثلة للشرح والتوضيح، وهو وإن سار على ذلك؛ فإنه لم يهمل ذكر تلك الأمثلة في بعض المواضع .

3- اعتمد الخوارزمي على **أمثلة النثر** دون الشعر الذي لم يورد منه مثالا واحدا أو شاهدا ، وقد أدى به ذلك إلى الاستشهاد ببعض الأساليب المتداولة .

4- عني المؤلف بفكرة تكثير الأقسام، وهي ظاهرة غالبة على كتب بعض البلاغيين المتأخرين .

5- نقف في بعض مواضع تحليله على غلبة روح المنطق على البلاغة العربية، وهو ما يؤكد صدق دعوى بعض الدارسين الذين يقرون بتأثر علوم اللغة العربية -ومنها البلاغة -بالمنطق الأرسطي .

6- اعتمد الخوارزمي في بعض رسومه وحدوده على كتب البلاغيين، كما هو الشأن في " المضارعة " و"المعاظلة" وغيرهما .

الهوامش:

(1)- يعرف المعجم الوسيط الاصطلاح، وهو بمعنى المصطلح على أنه :"مصدر اصطلح، بمعنى اتفاق طائفة على شئ مخصوص، ولكل علم اصطلاحاته" المعجم الوسيط 1،520، إعداد، د، إبراهيم أنيس، د، عبد الحليم منتصر عطية الصوالحي، محمد أحمد خلف الله أحمد ،ط2، دار المعارف، مصر، 1962 وهو عند علماء العربية

" اتفاق طائفة مخصوصة على أمر مخصوص " محمد رضا الشبيبي، تراثنا القديم من المصطلحات مظانه ومصادره، مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة، العدد 14، ص54، مصر، 1962.

كما يعرف المعجم الفرنسي le p1004 -robert- alain Rey -المصطلح كالتالي:

Dictionnaire d'aujourd'hui .France loisir 1995
Terme: mot ou expression qui dénomme une notion précise une classe d'objets le sens d'un terme usuel rare .
Termes : ensemble de mot et expressions choisis pour faire avoir quelque chose .

وبالجملة فإن الإجماع منعقد على أن لكلمة المصطلح دلالتين :

الأولى : الدلالة اللغوية وهي مأخوذة من أصل المادة (صلح) .

والثانية : الدلالة العلمية (الاصطلاحية)، وتعني اتفاق جماعة على أمر مخصوص... عوض حمد القوزي، المصطلح النحوي نشأته وتطوره حتى أواخر القرن الثالث الهجري ،ص 22، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1983

(2) - المرجع السابق ،ص5

(3) -عوض حمد القوزي، المصطلح النحوي نشأته وتطوره حتى أواخر القرن الثالث الهجري ،ص 23

(4) - المعجم العربي الأساسي، ص427 المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تأليف: أحمد العابد وزملاؤه دار لاروس، فرنسا، 1989 .

(5) - المرجع السابق ،ص427

(6) -الموسوعة العربية الميسرة ،ص 767، بإشراف محمد شفيق غربال، دار الشعب، مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر، صورة طبق الأصل عن طبعة 1965، القاهرة، مصر .

(7) - أبو عبد الله محمد بن أحمد، مفاتيح العلوم، المقدمة ،ص1، ط2، مكتبة الكليات الزهرية، مصر، 1981 . إيلاء : لعله من (الإلى -الألي) النعمة (ج) آلاء، المعجم الوسيط 1،25 (2) النابه : الشريف .

(8) - يظهر أن تلك الطريقة شاعت في شرق العالم الإسلامي وغربه، فأبو منصور الثعالبي ت 429 للهجرة يؤلف كتاب الكناية والتعريض لمولاه الأمير السيد المؤيد ولي نعمته أبي العباس مأمون بن مولانا خوارزم شاه مولى

أمير المؤمنين . والحصري القيرواني ت 413 للهجرة، يؤلف هو الآخر كتاب زهر الآداب وثمر الألباب لأبي الفضل العباس بن سليمان، وابن رشيق القيرواني ت 456 للهجرة يصنف كتاب العمدة لولي نعمته أبي الحسن علي بن أبي الرجال.

(9) - مفاتيح العلوم، المقدمة، ص 4 .متوقيا : يتوفى توقيا متوق -حذره وتجنبه .

(10) -المصدر السابق ،ص 47 جاء في المصباح المنير ما يفهم منه أن السجع من " سجعت الحمامة (سجعا) من باب نفع هدرت وصوتت . وقال :" والسجع في الكلام مشبه بذلك لتقارب، فواصله و(سجع) الرجل كلامه، كما يقال نظمه إذا جعل لكلامه فواصل كقوافي الشعر ولم يكن موزونا"، المصباح المنير ،ص 140 تحقيق الأستاذ يوسف الشيخ محمد ،ط1، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، لبنان، 1981

(11) - جاء في المعجم المفصل في علوم البلاغة- ،ص 278، ط2، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1996- ما يلي" التبديل : من تبدل الشئ وتبدل به : اتخذ منه بدلا

وتبديل الشئ : تغييره وإن لم تأت ببدل، وقد سماه العسكري بالعكس فقال : " العكس أن تعكس الكلام، فتجعل في الجزء الأخير منه ما جعلته في الجزء الأول، وبعضهم يسميه التبديل، كقول بعض النساء لولدها : رزقك الله حظا يخدمك به ذوي العقول، ولا رزقك عقلا تخدم به ذوي الحظوظ " .

(12) - جرانه : ثقله . مفاتيح العلوم ،ص47 وهي عند السكاكي " أن تذكر أحد طرفي التشبيه وتريد به الطرف الآخر، مدعيا دخول المشبه في جنس المشبه به، دالا على ذلك بإثباتك للمشبه ما يخص المشبه به " مفتاح العلوم ،ص 369 . ضبطه وكتب هوامشه وعلق عليه نعيم زرزور ،دار الكتب العلمية ،ط، بيروت، لبنان، 1978

(13) - مفاتيح العلوم ،ص 47 .

(14) - المصدر السابق ،ص 49

(15) -مفاتيح العلوم ،ص 49 -زجا الشئ : ساقه ودفعه برفق .

(16) -مفاتيح العلوم ،ص 47، الترصيع : جعله عبد الوهاب الزنجاني ت 660 للهجرة نوعا من الأسجاع، قال فيه : الأسجاع أربعة

أنواع : الترصيع، والمتوازي، والمطرف، والمتوازن . وقال في تعريفه " فهو أن تكون الألفاظ مستوية الأوزان، متفقة الأعجاز، كقوله تعالى: (إن إلينا إيابهم ثم إلينا حسابهم) الغاشية ،26/25، ينظر كتاب معيار النظار في علوم الأشعار 2،83 . تحقيق د، محمد علي رزق الخفاجي دار المعارف نمصر، 1991 . والترصيع عند الخوارزمي" أن يكون الكلام مسجعا متوازن المباني والأجزاء التي ليست بأواخر الفصول، مثل قول أبي البصير: حتى عاد تعريضك تصريحا وتمريضك تصحيحا " مفاتيح العلوم ،ص 47

(17) - مفاتيح العلوم ،ص 47 . المضارعة هي نوع من التجنيس ،وهي " أن تكون المخالفة بينهما بحرف متوسط، كقوله تعالى : (وإنه على ذلك لشهيد وإنه لحب الخير لشديد) 9 العاديات 7،8.

وقد مثل بعضهم في هذا النوع بقولهم : ما خصصتني ولكن خسستني . وهو من النوع الأول الذي خالف أحدهما الآخر بحرف في آخره دون وسطه لأنه من (خص) وخس)، فالمخالفة في آخره لا في وسطه . وكأنه نظر إلى تاء الخطاب ونون الوقاية وياء المتكلم، فجعلها

من أصل الكلمة، والتحقيق يأبى هذا " ينظر الشيخ صلاح الدين خليل الصفدي، جنان الجناس في علم البديع ،ص 64،65 تحقيق سمير حسين حلبي نط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1987.خصصه واختصه : أفرده بالأمر دون غيره، وخس : أي جعله خسيسا

(18) - مفاتيح العلوم ،ص 47، المكافأة عند قدامة ت 337 من الهجرة : التكافؤ، قال في تعريفها :" وهو أن يصف الشاعر شيئا أو يذمه أو يتكلم فيه بمعنى ما، أي معنى كان، فيأتي بمعنيين متكافئين، والذي أريد بقولي : متكافئين في هذا الموضع متقاومان، إما من جهة المضادة أو السلب والإيجاب أو غيرها من أقسام التقابل، مثل قول أبي الشغب العبسي :

حلو الشمائل ،وهو مر باسل * يحمي الذمار صيحة الإرهاق

فقوله : حلو ومر " تكافؤ " ينظر، نقد الشعر بتحقيق كمال مصطفى ،ص 143. ط3، مكتبة الخانجي نمصر 1979.

(19) -مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة (مجمع اللغة العربية في عيده

الخمسيني، مجموعة القرارات العلمية في خمسين عاما 1934-1984) ص236.

(20) - يقال المقابلات أو المقابلة في الكلام، قال حازم القرطاجني :" وإنما تكون المقابلة في الكلام بالتوفيق بين المعاني التي يطابق بعضها بعضا، والجمع بين المعنيين اللذين تكون بينهما نسبة تقتضي لأحدهما أن يذكر مع الآخر، كما لاءم ك المعنيين في ذلك صاحبه " منهاج البلغاء وسراج الأدباء،ص 52، تحقيق محمد الحبيب ابن الخوجة، دار الغرب الإسلامي، ط2، بيروت ،لبنان، 981 .

(21) -مفاتيح العلوم ،ص 49

(22) -مفاتيح العلوم، ص49،50

(23)- مفاتيح العلوم ،ص 50

(24) - مثل الفخر الرازي ت 544 من الهجرة صاحب نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز الذي يقول عنه الصفدي :" أتى في كتبه بما لم يسبق إليه، لأنه يذكر المسألة ويفتح باب تقسيمها وقسمة فروع ذلك التقسيم، ويستدل بأدلة السير والتقسيم، فلا

يشذ فيه عن تلك المسألة فرع له بها علاقة، فانضبطت له القواعد وانحصرت معه المسائل " شوقي ضيف، البلاغة تطور وتاريخ ،ص 274،275 دار المعارف نمصر، 1983

(25) -مفاتيح العلوم ،ص 27

(26) -مفاتيح العلوم،ص 48

(27) -مفاتيح العلوم ،ص 49 .